الأقصوصة الشعرية الطريفة في الشعر المهجري

الدكتور
حامد علي غيلان
جامعة ذي قار – مركز ابحاث الاهوار

عرف شعراء المهجر الأمريكي في بداية القرن الماضي بميلهم إلى التجديد اكثر من أقرانهم في المشرق ، وكما عرفوا بمحاولاتهم الخروج على اطر اللغة الشعرية المستخدمة في شعر المشرق آنذاك ، كان من ابرز صور التجديد في شعرهم القصة الشعرية التي تفوقوا فيها على أقرانهم في الوطن الأم .

وقد رصد تلك الظاهرة الأدبية في شعر المهجر واشار أليها كثير من الباحثين ، وعدوها من مزيات الشعر المهجري ، ومن مظاهر التجديد والتفوق التي جسدت سعة الاطلاع والثقافة ، وعمق التفاعل مع البيئة الجديدة [١] .

وقد تنوعت أنماط هذا البناء الشعري ما بين قصة شعرية طويلة يفرد لها الشاعر ديوانا تاما ، مثل (عبقر) لشفيق المعلوف ، و(على بساط الريح) لفوزي المعلوف ، و(أحلام الراعي) لا لياس حبيب فرحات ، وبين الأقصوصة الشعرية القصيرة جدا التي لا تعد وكونها مشهدا حيويا يرقبه الشاعر فينفعل به . وتعددت صور البناء الموضوعي الذي اعتمدته تلك القصص، فنجد فيها القصة الغزلية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والتأملية ، والرمزية ، والفلسفية ، وكان بعض هذه القصص حقيقياً من واقع الحياة ، عمد الشاعر الى نظمه للاعتبار به ، منها ما كان من إبداع الشعراء وابتكارهم [٢].

وقد كانت مطولاتهم الشعرية القصصية من ابرز ما إنماز به شعراء المهجر من معاصريهم من الشعراء العرب ، لاسيما التي بنيت على نمط الرحلات الخيالية ، والاحلام لذلك نالت عناية الدارسين الذين درسوا الادب المهجري على قلتهم[٣] ، لتعصب مؤرخي الادب الحديث ودارسيه ونقاده على الادب المهجري ، الا ان ذلك النمط من البناء القصصي القصير جدا والذي نحن بصدده في هذا البحث لم يلتفت اليه احد من الدارسين

على الرغم مما له من اهمية موضوعية وفنية ، نجدها في بعض القصائد انسانية ، وفي بعضها سياسة او رمزية . لذلك من هذا الباب ، ومن باب التوثيق التاريخي لظاهرة ادبية ظهرت في عصر وفي بيئة ادبية ارتاينا أن نخصها بهذا البحث الصغير .

يبدو ان غلبة الطابع الانساني بروحه الرومانسي على التوجه الشعري لدى شعراء المهجر جعلهم يلتفتون الى تلك المشاهد الحيوية ويصوغونها شعرا على شكل اقصوصة، نجد ان موضوعاتها طريفة مما لم يالفه القارىء في الشعر الا نادرا .

وقد تبين لنا من تلك الاقصوصات ، ان شعراء المهجر الامريكي قداولوا عناية لكل مكونات الحياة حولهم ، ورصدوا ابسط الاشياء ولم يتعدوها بل صرفوا جهدا في تسطير قصائد على نحو فيه كثير من الجدة لاجل موضوعات قد ينظر اليها غيرهم ، فيتجاوزها ولا يلتفت اليها لانهم اكثر احساسا بما حولهم ، ولان غيرهم مشغول اكثر منهم بشؤون الحياة التي طغى عليها طابع التعامل المادي مع المحيط ولاسيما في ارض الامريكيتين ، وهم في هذا قد اشبهوا الشعراء العرب في عصر ما قبل الاسلام في عنايتهم بكل ما حولهم من مكونات بيئة جزيرة العرب ودقائق مفرداتها ، بل دقائق اجزاء مفرداتها من حيوان ونبات وامطار وسحاب ورياح وارض وما فيها من احجار وجعلوا لمعظم ذلك قصصا وحكايات ، حتى تعدوا ذلك الى حكايات عن حيوانات واماكن ومخلوقات وهمية لاوجود لها . بل هي من ابتكار الشاعر الجاهلي ومن اساطيره .

ويبدو كذلك ان غلبة الجانب الانساني في تعامل شعراء المهجر مع الحياة ، ومعرفتهم الدقيقة لما عاناه الانسان في حياته قد تولد من خلال معاناتهم القاسية في عيشهم في ارض المهجر بتجوالهم وتنقلهم بين المدن والقرى في الامريكيتين ، وما لاقوه في ذلك من قسوة الطبيعة وجفوتها ، وقسوة المجتمع وعسرته في تعصبه عليهم ، واحتقارهم وبما ينعتهم به ذلك المجتمع من اوصاف لتحقيرهم والتقليل من شانهم ، ومن اشدها ثقلا على نفوسهم ان ينعتوهم باسم (توركو)[٤] أي (اتراك) وقد هجروا بلادهم بغضا للاتراك وهربا من ظلمهم .

ويبدو انهم مدوا جسور الالفة مع كل الاشياء حتى الجمادات ، ولعل ذلك تعويضٌ عن نقص في الالفة مع المجتمع الجديد الذي يحيون فيه وهم غير معتادين عليه .

ولعل ايلاء شعراء المهجر العناية الشديدة للطفولة ، برصد حركات الاطفال وسكناتهم ولعبهم ومرحهم .....الخ ، وحرصهم على ذلك على الرغم من انشغالهم بصراع المعيشة القاسي هناك ، يعودوا الى انهم يرون في الاطفال مستقبل وجودهم في هذا المجتمع القاسي المتعصب ، ذلك المستقبل الذي يريدونه راسخا قويا بجذور صلبة ، وليس كما هو عليه اباؤهم الذين يعانون العزلة والانزواء ويطغى عليهم الحنين الى الوطن الام ، وهم لايريدون العودة ، ويعتمل في صدورهم بغض مايرونه في مجتمع المهجر ، ولكنهم راغبون في البقاء فيه . ولعله ايضا استرجاع للماضي السعيد في اوطانهم ولطفولتهم هناك .

شغل عالم الطفولة ، وما يتخلله من براءة وصدق وعفوية واعتباطية جانبا كبيرا من هذه الاقصوصات ، فقد صور الشعراء عبث الاطفال ولهوهم ، وتماديهم في ذلك ورغباتهم وما فيها من مطالب وافعال نادرة وغريبة وطائشة .

ففي قصيدة ((شيطنة[٥])) (لجورج صيدح) التي رواها الشاعر بضمير الغائبة ، نجد اقصوصة شخصيتها الرئيسة طفلة ، شاركها في اداء الحدث شخصيتان هما الاب والكلب، وهناك شخصية غائبة ولكنها مؤثرة في الحدث من خلال ظلال سطوتها في سياق سلوكها اما موضوعها فهو ليس سياسياً وليس رمزياً ، بل واقعيٌ ذو ملمح انساني يرعى الطفولة ويعرف لهوها وعبثها .ويصور عطف الابوة وحنانها . وقد سرد لنا الراوي حادثة لهو لابنته مع كلبها في حديقة المنزل ، وكيف عبثت بتلك الحديقة في وقت غابت فيه امها عن المنزل :- يقول :

ابنتي مـــــع كلبها تلعبُ فـــي رحبِ الحديقة
أمُّها غابتْ ، فمن ذا يكبحُ البـــــنتَ الطليقة ؟
اعلنتها ثـــــــــورةً ضدَّ المراسيـــم الوثيـــقة
وعَـــــدَتْ كالآبق العجـــلان يشتقُ طريقـــــهْ
ضربتْ في العشبِ،داست أصصَ الزهر الانيقهْ
ومضتْ تفركُ اذانَ الافانين الصفيقـــــــــــــةْ
مورقاتٍ ، أصبحتْ أرجوحة اللهو الحليقـــــةْ
رشرشتها بسخاءٍ تركَ العطشى غريقـــــــــْة

من رآها ظنَها تُطفئ بالماءِ حريقـــــــــــــهْ
ربَّ وردٍ هاجمته وهي للوردِ شقيقـــــــــــهْ
وبسينِ داعبتْهُ اسمعَ الحيَّ شهيقـــــــــــــهْ
كلبُها المسؤولُ عنها قلقٌ يبلعُ ريقـــــــــــهْ
خائفٌ عاقبة الطيشِ على ((خلفِ)) الرفيقــة
وأنا، في مقعدي ، اسعدُ حيٍّ في الخليقـــــهْ
أتغاضى ، وعيوني لم تفارقها دقيقـــــــــــة
اجتلي في وجهها وجهي ، وعِرقي ، والسليقة
خلفَ منظاري توارتْ دمعةُ الشكرِ الرقيقـــة
دمعةُ العاشقِ ، لا يردعهُ ضحكُ العشيقـــــهْ
دمعةٌ تغسلُ اوزارَ الصباباتِ العتيقـــــــــة
دمعةٌ افرغتِ الاحلامَ في جفنِ الحقيقـــــــة
دمعةٌ تستعطفُ الدهرَ وتستعطي رحيقـــــهْ
ليتهُ يجمعُ عمري في سويعاتِ الحديقـــــــة

في هذا المشهد القصصي عاطفة انسانية رقيقة تمثلت في الرحابة في تلقي افعال الطفولة البريئة ، وقد وسع الشاعر تلك العاطفة ، عندما خلع على الكلب شيئا مما يفكر فيه من خوف على تلك الطفلة ، فجعل الكلب خائفا قلقا يبلع ريقه فزعا مما ستلاقيه من عقوبة بيد أمها . فكأن ما في داخل الكلب معادلا موضوعيا لما في داخل الأب فقد كانت ذات الرواي (الشاعر) حاضرة في المقطع الأخير إذ تنساب دموعه فرحا وشكرا....وبذلك كان البناء السردي مركبا هنا ، فالراوي كان ينظر وينقل لنا (المروي) ولكنه تحول الى منفعل بالنص ومتلقي لاثر الحدث الذي انطوت عليه الأقصوصة.

وفي أقصوصة أخرى ، نجد مشهدا قصصيا للشاعر (عقل الجر) يقدم فيه موقفا إنسانيا أخر مع الطفولة ولهوها ، وبراءتها وصدقها في قصيدة ((عروستي الصغيرة [٦]))وفيها يسرد علينا الشاعر (الراوي) أقصوصته بسرد مشهدي (تمثيلي) مع ابنة مضيف له في إحدى زياراته إليهم . شخصيات الأقصوصة الأم ، والطفلة ، والراوي

الشاعر ، وتكون أدوارهم في الأقصوصة متماثلة في إنماء الحدث وحركته وقد طغى الجانب الشعري على الجانب القصصي في هذه القصيدة الأقصوصة ، لرقة الشاعر ، وجمال تصويره لذلك المشهد الرومانسي بلغة شعرية فاقت رقة شاعرها ، ولما في نفس الشاعر من حسرة وألم على أربعينه التي ضاعت ، ولما حمل وتضمن ذلك المشهد من روح أنساني عبق جميل في التعامل مع الطفولة وعوالمها .

يقول الشاعر (الراوي):-

تقولُ لها أمَّــها يا ابنـــــتي إليكِ العريسَ ألا تخجــلين
تعالي وخلي الدُمى جانبـــا والقي السلامَ على الزائرين
فجاءتْ والعابُها حولهـــــا صغارٌ تحفُّ بأمّ حنـــــون
تقدمُ رجلاً وترجعُ أخــرى وترنو بخوفٍ إلى الحاضرين
يموجَ الحياءُ على خـــــدّها فيُطلع ورداً على ياسمـــــين
ويسري النسيمُ على شعرها فينتثرُ التبرُ فوقَ الجبـــــين
فرحتُ أداعبُ تلكَ الــدمى واضحكُ حيناً لها بعــدَ حــين
ولما استكانتْ إلى صحبــتي وشامتْ بوجهي الرفيقَ القرين
ترامتْ عليَ بدلّ وراحــتْ تقصُّ حديثَ صغارِ البنـــين
فطوراً تحدثُ عن وليـــم وطوراً تحدثُ عن آفلـــــين
وحيناً تحدثُ عن أمّـــــها وعن ثوبها المخملي الثمـــين
وآناً تشيرُ إلى كلبـِــــــها وما كان من فتكهِ بالبســـين
تلوكُ الأقــاصيصَ في لثــغةٍ لديها البيانُ ضئيلُ مَهـــــين
فقالتْ لها امُّها عنـــــدما رأتها الى صحبتي تستكـــين
أراقكِ هذا العريــسُ ؟ اجيبي علامكِ ماما ؟ الا ترتضــين
فقامتْ تســـــرُ الى امّــها الجوابَ بذاكَ الحديثِ الرطين
فكانَ كطيبِ نما عرفُـــــه ونمَّ عليه بريقُ العيـــــون
ورحتُ اروزُ النقودَ بجيــبي فتدنو وتطلقُ فيه اليـــــدين
اساوم عن قطعة قبـــــلة فترضى وتُدني الي الجبــين
فألثمُ ما شِئتُ لكــن بعــدّ ونقدٍ فليستْ تبيعُ بـــــدين

وأمسكُ عنها فتمسكُ عــني فسنّ بسنّ وعين بعـــــــين
فقالتْ وقد ضحكت أمُّــها تعلّم تعلّم أخا الأربعـــــين
كبرتَ ولم تستفد في الهــوى فحسبُكَ بنتُ ثلاثِ سنـــين

ومن عالم الطفولة ننتقل إلى عالم أخر يدانيه في ما يتضمنه من روح رومانسي جميل ، هو عالم الطير ، فقد قدموا مشاهد قصصية للطير تنم عن مشاعر حب أنساني نبيل تجاه بعض الطيور ، بسبب ما يعود الى الانطباع السائد في الأذهان عنه لجماله او حسن ميزة فيه غدت مزية له على غيره من الطير ، كالبلبل مثلاً ، فقد تناوله الشاعر (رشيد سليم الخوري) المعروف (بالقروي) في مشهد قصصي رومانسي ينم عن نبل وعمق العاطفة الانسانية التي يحملها الشاعر نحوه ، انعكست في طيب المعاملة عندما حل بلبل ضيفا حبيبا بينهم .

ففي قصيدة ((البلبل الساكت[٧])) نجد اقصوصة تدور احداثها في بيت الراوي ، شخصياتها الشاعر ((الراوي)) ، وبلبل هارب اضطر الى اللجوء الى بيت الراوي يسرد الاحداث الشاعر بضمير الغائب ، يعتمد على الحوار الصامت مع البلبل الساكت الذي ألجأته زوبعة بغيومها السوداء التي كانت تهطل ثلجا الى بيت الرواي ، فدخل مبلل الجناحين ، خافت الصوت خائفا مترددا ، فانجده الشاعر فعاد البلبل الى حياته الطبيعية في الرياض.

تنطوي هذه الاقصوصة على مفارقة كبيرة ، حيث تكون المعادلة هنا غير مألوفة في الواقع ، فالطبيعة قاسية ، والانسان هو الملجاء الذي يحتضن هذا الطائر وينجده ويحرره بعد ذلك ؟! ، بينما الواقع لا يظهر ذلك فالطبيعة هي ارحب ما يكون للطير ، لذلك نرى نزوعه دائما الى حياة الطبيعة ليجد الحرية والفضاء الارحب ، بينما الانسان هو الذي يسلب حرية الطير ويمنعه من الانطلاق في الفضاء الرحب ، اذا لم يسلب منه حياته . يبدو ان الراوي هنا رمز لمثالية الانسان وطهره وسموه الذي ارتفع به فوق الطبيعة التي اصبحت دونه في حنوها على الجمال والرقة والرحمة لذلك ختم هذا الراوي الشاعر قصيدته بالمبدأ الذي انطلق منه في تعامله مع هذا الطائر وهو مبدأ سامٍ ((انما الحرٌّ لا يقيد حرا)) والقصيدة بعد ذلك فيها ايحاء سياسي لمبدأ الحرية والنظم الديمقراطية والليبرالية التي تحترم الحرية وتتيح للاخرين التمتع بها . يقول الشاعر :-

تائهاً في المساءِ يطلبُ مَلجــا والغيــومُ الســوداءُ تهطلُ ثلجــا

هجرَ الحقلَ والرُبى والمرجـــا انما المـــرءُ في الشـــدائدِ يُرجـــى

حين يُمسي روضُ الطبيعة قفرا

بلبلُ الروض والجناحُ مبـــلل خافتُ الصوتِ ساكتٌ فتأمـــــل
نبذتهُ رياضُهُ فتعـــــــلل بحمانا عن الرياض وأمـــــــــل

ان يكونَ الانسانُ أهونَ شرا

ولَجَ البيتَ خائفاً متـــــردد ينشدُ القوتَ بعد أن كان يُنشـــد

جاءَ مستنجداً فكنتُ المنجد ومسكتُ العصفورَ لا لأُقيـــــد

بلْ حناناً عليه واللهُ أدرى

بلبلَ الروض هاكَ دفئاً وقوتاً بلبلَ الروض لا تخف ان تموتـــــا

بلبلَ الروض ما خلقت صموتا بلبلَ الروض قد اطلتَ السكـــوتا

عُدْ فغردْ لا تخشَ ياطيرُ ضرا

أمنَ البلبلُ الفصيحُ فغـــــنى بعدَ أنْ كان ساكتاً، واطمـــــأنا

ولكمْ ساكتٍ فصيح تمـــــنى لو يتيحُ الزمـــانُ كي يتغـــــنى

ويناغي الاطيارَ نثراً وشعرا

هبتْ الريحُ في الظـــلام فولى عسكرُ الغيمِ والصباحُ تجـــلى

فلثمتُ العصفورَ بعضاً وكلا ثمَّ كلمتهُ كـــلاماً جَـــــــلا

عن مثيلٍ غنى له الطيرُ شكرا

يا كريماً عاملتهُ بالكـــرامـــة صُنْ عمودَ الرشيدِ وارعْ ذمامه

هدأ الطبعَ رافقتكَ السلامة حبذا لو رغبتَ معـــنا الاقامـــة

إنما الحـــرُّ لايقيدُ حـــرّا

نجح الشاعر في موشحه هذا بمزج السردي بالشعري فتضافرا على اظهار هذا المشهد القصصي بروح شعري جميل وساحر ، نلحظ فيه جمال الموسيقى ، مع رقة اللغة وبراعة التصوير ، بتدفق عاطفي نبيل ، وقد كان خطاب الشاعر (الراوي) للبلبل على وفق هذه الصيغة من النداء تجعل القارىء يرى بوضوح قرب هذا الطائر من روح الشاعر ، وهو في حقيقته أي الشاعر – بلبل الناس وصوتهم الغريد ، فهل كان شاعرنا الراوي قد احضر شخصا اخر في داخله ليخاطب طيفه من خلال صورة البلبل الماثل امامه ، لعل ذلك حق والمشهد رمز لامر الم بالشاعر فافصح كما وجدنا .

اما الطير الذي ساد عنه الانطباع السيء في الاذهان ، كالغراب مثلا ، فيقدم بمشهد قصصي ينم عن البغض والكره والاحتقار ، وانعدام الحب نحوه ، ومثل هذا نجده في قصيدة ((الغراب الغازي[٨])) ((لجورج صيدح)) وهي اقصوصة يدور حدثها في غرفة الراوي (الشاعر) التي يستجم فيها في (بحمدون[٩]) ، وشخصياتها الشاعر ، وغراب اقتحم عليه غرفته فتطيّر منه، وكال له من اوصاف السوء ما يجعل الانسان ينفر من ذلك الغراب سريعا .

والموقف القصصي هنا بني على مفارقة من نمط جديد ، ليست كسابقتها في اقصوصة ((البلبل الساكت)) ، وهي ان يهرب الطير من الطبيعة السمحة الرحبة الى الانسان في مسكنه المحدود المقيد لحرية الطائر . فالمفارقة هنا ، ان الانسان لا يرحب بالطائر بل سرعان ما يتحول هذا الطائر في رؤيته الى غاز ولا بد من قتاله ، لانه – أي الطائر – اصبح رمزا للعدو الذي قدم من جهته .

فيبدا صراع الراوي ضد هذا الطائر ، والغريب ان نجد فيه الراوي يشعر بضعفه امام هذا الطائر العدو الغازي ، عندما يبحث عن سلاح ولايجد فيميل الى مهادنته ، وزيادة في السخرية والتهكم يعرض عليه ان يذهب الى ((تل السفاح)) تعريضا باليهود، فالغراب لدى الشاعر ((الراوي)) قرين اليهود في فلسطين . وهنا يتدخل الشاعر بالسرد وينفعل به ، ليظهر لنا افكارا غريبة عن المشهد القصصي كالافتخار باصله العربي وغير ذلك مما لاعلاقة له بالمشهد القصصي بتدخل مباشر من الشاعر ، ويمهد له هذا التدخل للتحول الى تناول فكرة اخرى من خلال توظيفه لوجود الطائر ، فيحاوره ، ويحسده على حريته غير المقيدة ، ثم يتحول الصراع الى ألم وشكوى من القوانين الكونية التي جعلته عاجزا عن تحقيق بعض آماله ، ومنها امنية من امنيات الانسان الازلية في ان يرود الاعالي كالطير بنفسه وليس بآلة ، مما دفع الشاعر هنا الى الافصاح عن فكرة تكشف الغطاء عن الم نفسي عميق متجذر في نفسه ، اذ نجده هنا يرى بان العيش بلا قدره على الوصول الى ما يريده الانسان سجن وقيد بلا خفاء . يقول جورج صيدح :-

تطيّرتُ من ناعبٍ في الصباح دخيلٍ على مهرجان الســـنا
مغيرٍ ، يمزقُ شملَ الريـــــاح اذا دافعتهُ عن المجتـــــــنى
غمامةُ غمّ تجاه البطـــــــاح ورايةُ شؤمٍ على المنحـــــنى

تقززُ منه عيونُ الاقـــــاح وتطبقُ اجفـــــانَها إن دَنا
تسرَّبَ في غرفتي واستـــراح فسرّبَ منهُ اليّ العَـــــــنا
كأني اعتزلتُ حياةَ المـــراح خصيصاً لأخلو بهِ ههـــنا
خلا الجوُّ من هينماتِ الصِداح وحلَّ النعيقُ محلَ الغـــــنا
أتأبى جوارَ الغرابِ الوقـــاح عجافُ الطيور ، وارضى أنا ؟
ومن انبأ الطيرَ أنّ اجتيـــاح مقامي أيسرُ مافي الـــــدُنى ؟
وأنّ انتسابي الى يعـــرب
يحللُ مآواي للاجنـــبي ؟

وإني أهدِدُهُ بالفـــــــــنا بكفي، وكفي خلتْ من سلاح ؟
أضيف الهنا ، ان بيتي المبـــاح صغيرٌ يضيقُ بضيفِ الهـــــنا
وزادي – اعيذُكَ منهُ –جراح أغمسُ فيهِ فُتاتَ الضـــــنى
شهرتُ عليكَ لساني الصَراح فاعيى . أ أطولُ منهُ القـــنا ؟
سألتكَ بعدَ الغدوِ الـــرواح عسى البينُ يصلحُ ما بينـــنا
وما ضرَّ لوزرتَ (تلَّ) السِفاح وعششتَ بينَ وكورِ الخـــنا ؟
هنالكَ سربُك يجني الربـــاح ولا يُسألُ اللصُّ عما جـــنى
كرهتُكَ ضيفاً دَجيّ الوشـــاح دجيّ الحواشي دجيّ المـــنى
اذا وصفتكَ القوافي الفصـــاح دعوت عليها بان ترطـــــنا
تسيء وانت طليق الســـراح ويرزحُ بالقيدِ من احســـــنا

احلتُ عليك النسورَ الغضـــاب
ولكن ..حسدتُكَ يا ابنَ التـــراب

ترودُ الأعالي ، وابقى هنا فعندكَ ما ليس عندي – جناح

لقد توزعت الفكرة بين بغض الغراب وفقا للموروث الحكائي الاسطوري في الاذهان ، وبين زخم الشعور القومي ببغض المحتلين اليهود ، ، وبين الامنيات الانسانية الكبرى في الانطلاق من حدود القصور البشري عن ارتياد عوالم محسوسة لم يمنح الانسان القوى الخلقية للوصول إليها ، فغدا عاجزا عن ارتيادها وهو راغب في ذلك وبذلك فقدت الاقصوصة الانسيابية التي نجدها في المواقف التي تكون فيها الفكرة واحدة ،

كما في المشاهد التي سبقتها في قصص الطفولة والبلبل. ولعل تاثير (الشريف الرضي) بقصيدته الحماسية المعروفة ((نبهتهم مثل عوالي الرماح .....)).

قد بلغ مداه في دفع الشاعر الى هذه الموسيقى وهذا البناء والصياغة اللغوية على الرغم من اختلاف اجواء القصيدتين فجو قصيدة الشريف جو حماسي ايجابي بينما القصيدة هنا ذات جو سلبي تطغى عليه الشكوى من الحال . ونجد في بعض الاقصوصات يدور الحدث حول مخلوق لا يمكن ان نتصور ان هناك علاقة تربطه بالانسان ، فتكون ودا او بغضا له ، اذ لا يتوافر في ذلك المخلوق ما يجعله مؤثراً في حياة الانسان النفسية. ولا يحمل ميزة سوى انه فريسة يصطادها ليتناولها طعاما ، فبعض الحيوانات التي يدجنها الانسان سرعان ما تالفه ويالفها وتصبح جزءا من شؤونه الحيوية ، والمعيشية التي لا يقدر على التنازل عنها بيسر ، كالخيول والجمال والغنم والماعز والكلاب والقطط ، وبعض انواع الطير وغير ذلك ، لكن حيوان مثل السمكة لا يمثل سوى جزء من مكونات غذاء الانسان ، إلا اذا تذكرنا ان هناك القلة القليلة من يربي اسماكا للزينة . ولكن يبدو ان الانسياق في التيار الرومانسي العاطفي جعل شعراء المهجر يتعاطفون حتى مع السمكة . نجد اقصوصة لصراع السمكة من اجل الحياة في قصيدة ((السمكة الشاكرة[١٠])) (لرشيد سليم الخوري) . يدور حدثها على ظهر سفينة في سفرة بحرية ، وهي سفرة حقيقية للشاعر عام (١٩١٨[١١])م . شخصياتها الراوي وسمكة وجمع من المسافرين على ظهر السفينة يرويها الشاعر بضمير الغائب .

استخدم الراوي في المشهد الاخير من الاقصوصة الحوار ليكشف عما في داخله من افكار ، كانت هجاء قاسيا للانسان وتعريضاً ببني البشر ، ويبدو ان ذلك لغرض ان يسوغ فعله في اطلاق السمكة في البحر لتعود الى حياتها.

تعددت رمزية السمكة في هذه الاقصوصة تبعا لما يريد الشاعر (الراوي) حسب الفكرة التي ترد في ذهنه .

ففي اول القصيدة نجدها رمزا للطبيعة مقابل الوحشية المتمثلة بالانسان ثم جعلها رمزا لقومه – العرب – في ضعفهم وتفرقهم ثم يعود في نهاية القصيدة ليرمز بها الى الطيبة وبالبحر للامن والرحابة مقابل البر المليء بشر الحيتان وبذلك نجد أنّ الشاعر الراوي قد تدخل بالسرد وانحاز به الى ذاته فعبر عما في داخله شاعرا رقيقا رومانسيا

وطغى ذلك الاحساس حتى وجدنا ان الراوي يرق احساسا مع السمكة فيتخيلها وهي معلقة بخيط الصياد شهيدا يتارجح بحبل المشنقة وينسرح بعيدا باحساسه ويتصورها عندما طرحت على ظهر السفينة وتزاحم حولها الفتيان يتضاحكون تهتف به دون غيره من الناس فيشعر بشعورها بانه ميت خنقا كالمشنوق لذلك طرحها في البحر لتنطلق وتنسرح فيه بعد ان عادت اليها حريتها :

طافتْ بانحاءِ السفينةِ ترتجـــي فضلَ الكريمِ ونعمةَ المتصـــدقِ
بزعانفَ تحتَ المحيطِ لوامـــعٍ لمعَ الحباحبِ وسطَ ليـــلٍ ازرقِ
وحشيةٌ خرساءُ إلا أنـــّـــها أزكى إذا قيستْ بوحشِ المنطقِ
غربيةٌ خبرتْ أساليبَ الأذى دهراً ولكن في الأذى لم ترتـــقِ
لم تؤذِ الأ قومَها فكأنهـــــا عربيةٌ رضعتْ حليبَ تفـــــرقِ

برزتْ الى سطحِ المياهِ ولو درتْ بشراً لغاصتْ للقرارِ الاعمقِ
فتسابقَ الغلمانُ يصطادونهـــــا رمياً بأنيابِ الشصوصِ البرقِ
تتلقفُ الاطعامَ جائعةً وقـــــــد غفلتْ بهن عن البلاءِ المحدقِ
علقتْ بشصٍّ فأعتلتْ وترجحتْ كترجحِ المستشهدِ المتعلـــقِ
فتزاحموا وسطَ السفينةِ حـــــولها يتضاحكونَ لدمعِها المترقرقِ
البحرُ منها قيدُ باعٍ وهي فـــــي غمراتِ بحرٍ بالمنيةِ مُطبـــــقِ
جحظتْ وقد شدَّ النسيمُ خِناقَها تُبدي محاولةَ الأسيرِ الموثـــقِ
وكأنَ عينيها لسانٌ ناطـــــــقٌ الشّعرُ يفهمُهُ وإنْ لم ينطـــقِ
عينانِ هاتفتانِ بي دون الـــــورى إني أعودُ بقلبكَ المتَـــــدفقِ

وإذا تفاضلتْ القلوبُ حســـاسةً فأرقُّ قلبٍ بينها القلبُ الشقي
عاينتُها فشعرتُ أني مائـــــــتٌ شنقاً فصحتُ بلهفةٍ وتحـــرُّقِ
ردّوا الحياةَ الى البريئةِ وأحْبسوا أنْفاسَكم عن صدرها المتمـــزقِ
وطرحتُها في البحرِ فأنسرحتْ كما أطلقتَ طيراً في الهواءِ المطلـــقِ

أربيبةَ الأمواجِ غوصي وأغـــرقي إني أخافُ عليكِ ألّا تغرقـــــــي

هذا فضاؤكِ واسعُ الارجـــاء ما عرف الفسادَ نسيمُهُ فأستنشقـــي
نعم الإقامةُ في فضاءٍ مـــــائع رحبِ المنازل محسنٍ حرّ نقي
لا تقربي براً فكم حـــــــوتٍ به تعنو له حيتانُ بحركِ فأتقي
ما خيطُه الممدودُ الا صـــورةٌ للسانهِ المتمطق المتملق
سيري على بركاتِ ربكِ واذكري ذاكَ الذي يرجو بألا نلتقي
وقفي بجدّكِ حـــــوتِ (يونان) إذا يوماً حججتِ ضريحَ جدكِ وانطقي
لا يذهب المعروفُ ياجـــــدي لو شاخَ الزمانُ وشابَ عزُّ المشرق

وتعدت عناية شعراء المهجر في اقصوصاتهم الى رصد مشاهد تدور احداثها حول النباتات والجمادات واختارو من النباتات اقربها الى نفوسهم الشاعرة وهوما يمثل الجمال والرقة وكان موضوعا حبته الفنون على اختلاف اجناسها وانماطها وفي اول ذلك عالم الزهر والورد.

في قصيدة ((وردتي[١٢])) (لعقل الجر) نجد اقصوصة شخصيتها الراوي تدور احداثها في حديقة الراوي (الشاعر) ارتكز السرد فيها على الحوار الصامت مع وردة ذابلة في حديقته وقد بسط الراوي عنايته بهذه الوردة من خلال الحوار وقدم لنا مشهد العناية بهذه الوردة وكيفية رعايتها حتى غدت محط غيرة الازاهر الاخرى من طيب عرفها ولكنه غفل عنها يوما فدهمتها الرياح وحل بها القضاء فكان الاقصوصة برمتها رمز للقضاء النازل ولا يستطيع الانسان ردا له لذلك تعج فيها عواطف الرقة والالم والاسف .

سقتكِ الغمـــــائمُ يا وردةً غرستُكِ في الصدر من روضتي
وقمتُ عليكِ قيـــــامَ الحنو كأني أحنو على طفلـــــــــتي
إذا حبسَ الفجرُ عنكِ النَدى سقتكِ مدامعُها مقلـــــــــتي
أبددُ عنكِ النبـــــاتَ الغريب واقتلعُ الشوكَ في راحـــــــتي
وأبسطُ عند الهجير عليـــكِ لكيّما أُقيـــــــكِ اللظى بُردتي

أغارُ من الطير إن حـــــومت عليكِ أو الريحُ إن هبـــــــتِ
وأرقبُ فيك البراعمَ حـــــتى كأنكِ زوجي وتي صِبيـــــــتي

إذا ذرَّ في كمهِ برعـــــــمٌ تذرَ السعودُ على غـــــــرتي
بروحي ورودكِ إذ فتحـــــت حِقاقَ عقيقٍ على فضـــــــةِ
تغارُ الازاهرُ من عُرفِـــــها فتغري النسيمَ على الســـرقةِ
وددتُ لو أني أصونُ بجفـــني بهاكِ وطيبكِ في مهجـــــــتي

ويومَ غفلتُ فحلَّ القضـــــاء وضاعتْ بدفع القّضا حيلـــتي
دهتْكِ الرياحُ فما ورقـــــــة ترفُّ هناكَ على ورقـــــــة
وارسلتِ الشمسُ نيرانـــَها فأودتْ بازهاركِ النَضْـــــرة
وداهمكِ النملُ في جيشـــــهِ فعاثَ باغصانكِ الرطبـــــة
ونالَ الخنافسُ منكِ فويلـــي تنالُ الخنافسُ من وردتـــــي
فبعدكِ لا امرعتْ روضـــــة ولا سحَّ قطرٌ على زهـــــرة

نجح الشاعر باتباع اسلوب الحوار الصامت في تقديم هذه الوردة اذ ان هذا الحوار شخص الوردة وجعلها قريبة منه او في موضع في نفسه يناسب رعايتها رعاية الاباء ابناءهم فكأنها تسمع كلامه وتحن اليه ولكن لاتستطيع ان ترد عليه . ومما تحسن الاشارة اليه هنا ان الراوي هنا لم يعمد الى استعمال أي اداة من ادوات النداء وانما كان حواره بكاف الخطاب ليجعلنا نحس بمدى قربها منه ولعل الراوي لو جعلها تبث شكواها او الامها لكان المشهد اكثر تأثيرا في النفوس ولكان اجدى لاسيما في مثل هذه الرقة في اللغة التي استعملها الشاعر.

اما حول الجمادات فنجد اقصوصة ((ساعتي[١٣])) (لرشيد ايوب) وهي اقصوصة يدور حدثها في غرفة نوم الشاعر شخصياتها الشاعر وبعض اهله وساعة معلقة على الحائط راويتها شخصيتها الرئيسة رواها بضمير المتكلم سرد فيها حكايته مع ساعته التي اتخذها مؤنساً له في وحدته ، وموقظاً ليغدوا على شغله ، لكنها خانته يوما اذ الباب يطرق وقد بان الفجر ولم توقظه فلما نظر اليها وجدها عاجزة عن الاجابة :

لي ساعةٌ في غرفتي أحللتُها أعلى مكـــــان
وتخذتُها لي مؤنساً دونَ ألانام على أمـــــان
قد كنتُ أمسحُ وجهَها مما غشاهُ من الدخان

فغدتْ تنبهني اذا للشغـــــــل قد آن الأوان
حتى اذا الفيتُها معشوقة طوعَ البنـــــــــان
اطلعتُها سري وما عندي من البلوى وكـــان
ما زلتُ أحسبُ أن عهدي عندها أبداً مُصان
حتى أُبتليتُ بليلةٍ دهماءَ عنها الصبحَ بـــــان
وشطحتُ أفكرُ بالحياةِ وكم بها حرٌّ يهـــــان
لما وصلتُ لحالتي ورأيتُ دهري كيفَ خـــان
أشعلتُها سيكارةً وبرزتُ في حللِ الطِعـــــان
ثم أستعنتُ بقهوتي متسلحاً ثبتَ الجِنـــــان
أفري بها جيشَ الهموم فيا لها من مُستعـــان
حتى إذا أطلقتُ في جو الخيالاتِ العنـــــان
وسبحتُ في بحرِ القوافي انتقي منه الجُمـــــان
أصطادُ كلَّ خريدةٍ فاقتْ على الغِيدِ الحســـان
تختالُ في بُردِ البديع على بساطٍ من بيـــــان
طرقوا عليَّ البابَ قالوا لاحَ فجرُكِ يا فـــلان
لما نظرتُ بساعتي فتعلثمَ منها اللســـــــان
ناديتُها أين العهودُ فلم تجبْ شأن الجبـــــــان
لا غروَ إن خانتْ فما كانت سوى بنتِ الزمان
أو ليس من هذيّ الليالي السودِ أرضعتِ اللبان

تضمنت القصيدة وصفاً وسرداً تظافرا في الاقصوصة فوجدنا خلالها ان هموم الشاعر قد طفحت جيشاً ، فخاض معركته مع (جيش الهموم) مستعيناً (بالسيكارة) والقهوة، ثم بالشعر فهذه اسلحته في مواجهة الهموم ، اما ساعته فقد جسمها انيسة سميرة ، ثم خائنة مخلفة ، وكأنه يشير بالرمز الى شخص خانه بعد ود ومحبة.

ومن خلال ذلك نستشف من بعض الابيات الألفة المتينة بين الشاعر وساعته حين اتخذها معشوقة كانت طوع البنان فاطلعها على سره وما لديه من البلوى وحين جعلها

متلعثمة اللسان كأنه قد وجه عتبا لشخص قريب جدا اهمل عمدا حقه فاصابه العجز عن البيان والافصاح لشدة خجله في الاعتذار.

الهوامـــش:

١- ينظر اداب المهجر – عيسى الناعوري – ١٨٢.
الشعر العربي في المهجر – محمد عبد الغني محسن – ٧٩.
التجديد في شعر المهجر – انس داود –٣٧٤.
شعراء القصة والوصف في لبنان – عيسى سابا – ١٥٠.
الياس فرحات شاعر العرب المهجر – سمير بدوان قطاي –٢٤٦.
٢- ينظر البنية القصصية في الشعر المهجري – حامد علي غيلان – رسالة الدكتوراه .
٣- ينظر شعراء الرابطة القلمية – نادرة سراج – ١٣٢– ١٣٣.
ادب المهجر – عيسى الناعوري – ٢٧٢ ----٣٢٧.
التجديد في شعر المهجر – انس داود – ٤١٠-----٤٥٤.
دراسات في الشعر المعاصر – د. شوقي ضيق – ٢٨٧-----٢٨٨.
تطور الشعر العربي الحديث في العراق – علي عباس علوان –٣٨٥--٣٨٦.
حديث الاربعاء – طه حسين – ١٧٨--٣/١٨٥.
ايليا ابو ماضي بين الرومانسية والواقعية – محمود سلطان –١٤٨–١٦٠ .
فوزي المعلوف ساحر البعد والوجد – ايليا حاوي –٦٠–١٠١.
شفيق المعلوف شاعر عبقر – ايليا حاوي – ٧٤–١١٥.
الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث – انيس المقدسي – ٣٨٨–٣٨٩.
البنية القصصية في شعر المهجر – حامد علي غيلان – ٢٤٩–٢٧٠.
٤- ديوان الشاعر القروي – رشيد سليم خوري – طبقة دار المسيرة ١/٢٩،٢٣٥.
٥- حكاية مغترب في ديوان شعر – جوج صيدح –٤٠٥.
٦- ديوان عقل الجر –٤٤.

٧- ديوان الشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري -١/١٩٣

٨- حكاية مغترب في ديوان شعر - جوج صيدح -٧٥

٩- نفسه.

١٠-ديوان الشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري - ١/٢٩٩

١١-نفسه

١٢-ديوان عقل الجر -٤٨

١٣-الايوبيات - رشيد ايوب -٢٣٤

المصادر والمراجع

اولا- الدواوين والمجموعات الشعرية .

١- الايوبيات - رشيد ايوب - دار صاد- ودار بيروت - لبنان بيروت -١٩٥٩م.

٢- حكاية مغترب في ديوان شعر - جورج صيدح - دار مجلة شعر- بيروت الطبعة الاولى -١٩٦٠م.

٣- ديوان الشاعر القروي - رشيد سليم الخوري - دار المسيرة - بيروت ١٩٧٨م .

٤- ديوان عقل الجر - جمع شكر الله الجر -دار الثقافة - بيروت - د.ت

ثانيا - الكتب

١- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث - انيس المقدسي - دار العلم للملايين - بيروت -لبنان - الطبعة السابعة ١٩٨٢م.

٢- ادب المهجر-عيسى الناعوري- دار المعارف-مصر-الطبعة الثانية-د.ت .

٣-ايليا ابو ماضي بين الرومانسية والواقعية - محمود سلطان - دار القبس الكويت ١٩٧٩م.

٤-التجديد في شعر المهجر - انس داود - المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - ١٩٦٧م.

٥-تطور الشعر العربي الحديث في العراق - دكتور علي عباس علوان - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد -١٩٧٥م .

٦-حديث الاربعاء - ىطه حسين - دار المعارف - مصر - الطبعة التاسعة -١٩٧٤م.
٧-دراسات في الشعر العربي المعاصر - دكتور شوقي ضيف - دار المعارف - مصر - الطبعة الرابعة -١٩٦٩م.
٨- شعراء الرابطة القلمية - دكتورة نادرة جميل سراج - دار المعارف - مصر ١٩٦٤م .
٩- شعراء القصة والوصف في لبنان - عيسى سابا - دار صادر ودار بيروت - بيروت - لبنان -١٩٦١م.
١٠- الشعر العربي في المهجر - محمد عبد الغني حسن - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٥٨م .
١١- شفيق المعلوف - شاعر عبقر - ايليا حاوي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨١م .

ثالثا - الرسائل الجامعية

البنية القصصية في الشعر المهجري - حامد علي غيلان - رسالة دكتوراه - اشراف الاستاذ الدكتور علي احمد رحيم الزبيدي - كلية الاداب - جامعة بغداد - مطبوعة عام ٢٠٠٠م